هل ما يزال هناك شكٌّ

في عدم صحة التعليم بالخطية غير المحدودة؟

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٩

www.coptology.org

نشرت مدونة مركز كنيسة الإسكندرية، يناير ٢٠١٩ مقالاً لـــ (الباحث) چون تكلا بعنوان: "لامحدودية الخطية ... بين القيمة والمقدار"، يقول فيه: "نادى البعض بعدم صحة فكر الكنيسة لأنها تنادي بأن خطيئة آدم كانت غير محدودة، ووصل بهم الأمر انهم اتهموا الكنيسة أنها "تؤلِّه" الخطيئة لنسبها اللامحدودية للخطية! وهذا كلامٌ أجوف وعاري من الصحة لأن اللامحدودية هي في العظمة (صفة) وليس في المقدار (كيان). لأن عظمة الخطأ يأتي من عظمة ومكانة وطبيعة الذي وقع عليه التعدي، وليس في شـــكل التعدي ذات نفسه. والخطية موجهة لشخص الله غير المحدود، فتصير الخطية خطية لامحدودة من حيث العظمة. والكتاب المقدس فرَّق وميز بين الشـــتيمة إذا وُجهت من شـــخص إلى شخص أخر، وإذا وُجهت للأب أو الأم، وإذا وُجهت الشتيمة لرئيس الشعب! فوصلت العقوبة إلى درجة الإعدام لمنْ يشـــتم أباه أو أمه أو رئيس شـــعبه! بالرغم من كون الخطأ واحد في كل الحالات! ومادامت العقوبة غير محدودة وأبدية لأن أجرة الخطية هي موت أبدي، فهي عقاب على خطية لها نفس القيمة، لأن العقوبة من نفس جنس العمل لأن الله عادل" أهـ.

هكذا يبدو أن تزييف التعليم والشغب الذي دام أكثر من ٤٠ عاماً مضت، ما آن له أن يتوقف بعد. فمازال لدى البعض حِملٌ ثقيلٌ من الشـعور بالذنب، صـارت معه الخطية هي "محور التعليم" الذي يُنسَبُ -بتدليسٍ غريب- إلى الأرثوذكسية، والويل لمن لا يقبل هذا التعليم.

وبغضِّ النظر عن الطنطنة الفارغة والتفرقة المصطنعة في وصف لامحدودية الخطية بأنها في العظمة (صـفة) وليس في المقدار (كيان)، فإننا في النهاية أمام فعل صـادر عن

مخلوق، لا يُتصوَّر أن تتغير طبيعته كلما تغيّر المتلقي لهذا الفعل، وعلى ذلك فليست هذه التفرقة إلا نوع من مخاتلة القارئ وإيهامه بالدفاع عن أفكارٍ، كأنها من صميم الإيمان، حال كونها افتئاتاً زيَّفوا به الإيمان وطوحوا به بعيداً عن دائرة الرسولية، كان أولى بـ (الباحث) صاحب المقال إهمالها صوناً للأمانة، بدلاً من الاستماتة في الدفاع عما يشين لا عما يشرِّف. ورغم سبق معالجتنا لهذا الموضوع في مناسبات مختلفة ومواضع كثيرة في كتاباتنا، إلا أن المحبة والأمانة تلزمنا بأن نضع أمام القارئ العزيز بعض ملاحظات:

أولاً: لم يقدِّم لنا (الباحث) لا من عند قداسة البابا شنودة ولا الأنبا موسى ولا الأنبا بيشوي، الذين راج على أيديهم هذا التعليم –بالرغم مما قدمه من اقتباسات منهم أو من غيرهم– نصاً واحداً من الأسفار، أو من الآباء يقول بأن الخطية هي "اعتداءٌ على الله". صحيح أن داود النبي قال حقاً: "لك وحدك قد أخطأت"، وفي مَثَل الابن الضال: "أخطأت إلى السماء ..."، وهذه وغيرها عباراتُ حقٍ لا مساس بها، ولكنها لا تتحدث عن "عدوان الإنسان"، أو "اعتداء الإنسان" على خالقه؛ لأن هذا الاعتداء غير متصوَّر للأسباب التالية:

١– الله ليس كائناً مادياً يمكن أن يقع عليه اعتداءٌ من الإنسان.

٢– إن فكرة "إهانة كرامة الله" هي وليدة فكر وتعليم عصر أنسلم، عصر الإقطاع، حيث كانت الجريمة تقاس بمكانة مَن صدرت بحقه وكرامته الجريمة أو الشر. وغنيٌّ عن البيان أن عصر الإقطاع الأوروبي الذي وَلَدَ هذه المقولة، لم يكن معروفاً في اسرائيل ولا في زمن الآباء.

٣– إن المشكلة ليست في الاعتداء على الله؛ لأن هذا غير ممكن كما قلنا، بل هي "فقدان الصورة الإلهية"، ودخول الموت إلى العالم. ورغم دخول الموت إلى العالم، إلا أنه لم يكن دخولاً أبدياً، وبالتالي ما كان يجب أن يموت الرب يسوع موتاً أبدياً، أو أن يبقى تحت حكم الموت إلى الأبد. لقد جاء حكم الموت لكي لا يبقى الإنسان في فساد الشر؛ لأن تدبير الخلاص معروفٌ قبل خلق الإنسان (أفسس ١: ٣–٤)، ولم يختارنا

الآب في الابن قبل خلق العالم لأننا موتى فقط، بل لأن الخطية والموت هما وجهان لمشكلة الإنسان، لا مشكلة الله.

ثانياً: إن النصوص التي وردت عند البعض –مهما كان أصلها اللغوي– إنما تؤكد على أن استمرار الموت، كان نتيجة لعجز الإنسان عن يفدي نفسه، وهو ما أسهب فيه القديس أثناسيوس في "تجسد الكلمة، الفصول: ١–٦ وبالذات عجز التوبة عن تجديد الإنسان.

ثالثاً: يجب أن ننتبه إلى أن الثلاثي الذي جاء المسيح وفصله تماماً:

الخطية – الموت – الدينونة (الحكم).

فقدت عجزت الخطية أن تملك بعد أن حرَّرنا الرب يسوع. وليس أوضح من كلمات رسول الرب: "حَتَّى كَمَا مَلَكَتِ الْخَطِيَّةُ فِي الْمَوْتِ هَكَذَا تَمْلِكُ النِّعْمَةُ بِالْبِرِّ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا" (رو ٥: ٢١). وسبق الرسول وكتب: "بِخَطِيَّةٍ وَاحِدَةٍ صَارَ الْحُكْمُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِلدَّيْنُونَةِ هَكَذَا بِبِرٍّ وَاحِدٍ صَارَتِ الْهِبَةُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لكي تصير الحياة حقيقية، أو حسب ترجمة فان ديك: "لِتَبْرِيرِ الْحَيَاةِ". وأيضاً: "كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً هَكَذَا أَيْضاً بِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَاراً" (رو ٥: ١٨–١٩).

رابعاً: ماذا نقول للذين لا يعرفون قواعد الإعراب لا في اليونانية ولا حتى في العربية؟ إن "أجرة الخطية هي موت" (رو ٦: ٢٣)، تعني حسب قواعد الإعراب وحسب سياق التعليم الرسولي في (رو ٦: ٢٣)، أن الذي يدفع الأجرة هي الخطية، وليس الله.

أهم ما تجاهله تعليم الخطية غير المحدودة

١– ليس الأولى بالاعتبار صفة من وقع ضده الفعل، ولا الفاعل أيضاً؛ لأن ذلك يعني حصر الأمر فقط في دائرة العقاب، وبالتالي تناسى هذا التعليم الدمار الذي

حلَّ بكيان الإنسان، الإنسان المخلوق حسب صورة الله، إذ خضع للفساد والموت، وهو أمر "غير لائق بالله".

٢- إن الشرح الذي قُدِّم عندنا في نهاية القرن الماضي، والذي يسير (الباحث) في ركابه، كان شرحاً دفاعياً، ولم يكن شرحاً لاهوتياً، بمعنى أن أصحاب هذا الشرح أرادوا أن يقربوا موت الرب لمن يحصِّن نفسه بالعدل الإلهي، فوقعوا في أكبر الأخطاء التي شاعت في هذا القرن، وهي اغتراب الابن عن جوهر الآب؛ إذ لم يعد الابن عادلاً مثله مثل الآب، كما غاب دور الروح القدس في تدبير الخلاص، في حين أنه هو الذي كوَّن ناسوت الرب ومسحه في الأردن وقدَّمه لنا مصلوباً (عب ٩: ١٤)، ومقاماً.

هل يمكن بعد ذلك الإصرار على صحة تعليم الخطية غير المحدودة، لاهوتياً؟ وهل يمكن أن يفسر هذا التعليم تدبير الخلاص خارج نطاق العقوبة؟

الرب يسوع قادر على أن ينير القلوب.

د. جورج حبيب بباوي